
نار الفصول
شعر
ياسين الأيوبي
تقديم : أحمد درويش
المجلس الأعلى للثقافة

المجلس الأعلى للثقافة

نار الفصول

شعـــر : ياسين الأيوبي

تقديـــم : أحمد درويـــش



2010

المجلس الأعلى للثقافة

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الأيوبى، ياسين.
- نار الفصول : شعر ياسين الأيوبى، تقديم: أحمد درويش
القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة ط١، ٢٠١٠
١٢٠ ص ، ٢٤ سم
١ - الشعر العربى - تاريخ العصر الحديث.
٢ - الشعر العربى - دواوين وقصائد.
أ - درويش ، أحمد (مقدم)
(ب) العنوان ٨١١,٩

رقم الإيداع : ١٣٩٢٦ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: 3 - 462 - 479 - 977 - 978
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

الأفكار التى تتضمنها إصدارات المجلس الأعلى للثقافة هي اجتهادات أصحابها، ولا تعبِّر بالضرورة عن رأي المجلس .

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٢٧٣٥٨٠٨٤
Cairo، El Gezira، EL Gabalaya st. Opera House.
Tel.: 27352396 Fax: 27358084
www.Scc.gov.eg

إهـــداء

إلى الّتي احتضنت ذاتي،

وأقالتني من كبوة نشوري

مع صاحبة «آخر الأوراد»

ورَوَّتني من رحيق الفردوس،

هنيهاتٍ سرمديات . . .

إليها . . وإلى رياحين شمس الأُفول،

اللواتي رَقَمْنَ أديمَ الوجد،

أغاريدَ وصالٍ دافق،

وأفانينَ حبورٍ خافق . . .

إليهنَّ . . . أهدي «نار الفصول»

التي انفسح معها العمرُ،

عن إشراقاتٍ جديدة

لم ترصدْها الفصول ! !

ياسين الأيوبي

إلمــاح

بقلم: ياسين الأيوبي

لم يدرْ في خلدي يوماً واحداً، أن يقوم أحدٌ بكتابة مقدمة لكتابٍ من كتبي التي تجاوزت الستين، بينما قمت بكتابة عشرات المقدمات لغيري...

إلى أن قيَّض اللهُ العليُّ القدير، أنْ آتي إلى أرض الكنانة، مشاركاً في فاعليَّات المؤتمر الدولي للنقد الأدبي العربي؛ فالْتَمَع في الذات خاطرٌ أن أحمل مجموعتي الشعرية السادسة التي اكتملتْ عدَّةُ ولادتها، إلى الأخ الدكتور أحمد درويش، راغباً إليه أن يكتب مقدمة لها، ويسعى لأن يُصدرها المجلس الأعلى للثقافة في القاهرة. فأكون قد خرجتُ من رتابة إصدار كتبي كلها في لبنان، ما عدا واحداً صدر في دمشق سنة ١٩٨٩..

وهكذا.. دفعتُ المجموعة إلى الصديق درويش، وكأنني أفارقُ واحدةً من جوارحي، ودَفْقاً روحانياً من لَدنْ عالِم الغيب.

فما اعتادت قصائدي وذَوبُ جَناني، أن تولد بعيداً عني.

أكاد أسْمع هسيس الحروف، ونبض الكلمات، يومئان بأن لا أتركهما لأحد غيري؛ فأجيب ذاتي بأن اليد التي ستُسطِّر المقدمة، قد اصطلت طويلاً بنار الحب العظيم، وأن صاحبها يملك من وَرَع الرؤية وروعة النفاذ إلى الأعماق، ما قد يجعل من مقدمته أحْنى على القصائد من جداول البوح المتدفقة في شراييني.

لِتَقرِّي عيناً أيتها القصائد؛ ولْيُفرِخْ رُوعُك؛

فأنا هنا أرْقبُ رشْحَ المخاض على يد أحْنى آباء البوح والهيام!..

وما يزيد في الطمأنينة أن الدكتور أحمد درويش قد عانى في الحب ومخاضه، فوق ما عانيتُ، وكنتُ شاهداً على أحواله غير مرة..

فاحتضانُه لقصائدي، وتقديمُها للقارئ، يزيدان في رغادة الولادة، ونضارة الرؤيا الشعرية، وحُميّا التجارب العاطفية التي اجتاحتني ولا تزال، منذ نهاية عام ٢٠٠٢، حتى اليوم. فكان «**آخرُ الأوراد**» للمرأة التي كانت وراء «بعثي ونشوري»، وكانت هذه المجموعة التي تؤلِّف سياقاً محموماً متواصلاً، وإن كان هناك غيرُ امرأة أشعلتْ حرائق الشعر..

كلُّهنَّ واحدة، تتبدَّل الوجوهُ، والجِمارُ هي، هي!

وقد عقدتُ العزم على تسمية المجموعة بإحدى قصائدها المميَّزة «كرنفال الحضور»... ولمّا قرأتُ هذه القصيدة على الصديق الشاعر، فاروق شوشة – وقد أُتيح لي أن أُفْضي له بكثير من فصول حبي ومعارجه – بادر إلى القول، بعد أن سمع آخر سطر من القصيدة:

«أوقدتْ نارَ الفصول»

سَمِّ المجموعة «**نارُ الفصول**» لأن فصول عشقك ومواسم شعرك، لا تنطفئ نارُها لا صيفاً ولا شتاءً..

فأنتَ في فصلٍ ناريّ، نُورانيّ، واحد متجدد!!»

فنعْمَ ما اقترح، ونِعِمّا سمّى!!

إليكَ دكتور أحمد وديعتي الأغلى!

وإلى لقاء حميم مع عرائس شعري، وقد أضْحت بمشيئة الله، كرْماً جنيّاً على دربْ!!

ياسين الأيوبي

طرابلس/لبنان

الثاني من رجب ١٤٢٩ هـ

الخامس من تموز/ يوليو ٢٠٠٨

أوراد العاشقين

مدخل إلى الآفاق الشعرية لديوان «نار الفصول»

أحمد درويش

ياسين الأيوبي أديب متعدد المواهب، وافر الحيوية، فهو عالم في مجال الدراسات العربية بمعناها الواسع، وتمتد أجنحة اهتماماته فيها على القديم والحديث معاً، ويستعين على التأمل فيها والنفاذ إلى أسرارها، بحصيلة وافرة من القراءات المنهجية والحرة في الثقافة العربية والفرنسية وما يصب فيهما من ثقافات اللغات الأخرى. وحصادُ مؤلفاته، وترجماته، ومقدماته، وتعليقاته، وتحقيقاته التي تجاوزت الستين، والتي تنوعت، تنوع امرئ القيس، والقرطبي، وابن منظور، وجوته، دليل واضح على اتساع مجال حركته، ورسوخ قدمه في مجال هذه الدراسات.

لكنه، مع هذا التنوع في مجالات الدرس الأدبي، وهو وحده جدير بالإعجاب والحفاوة والتصديق، تنطوي جوانحه على طاقة شعرية فوارة، تزدحم — كما يقول القدماء- هي والعلم في صدره، فلا يزيح أحدهما

الآخر، ولكنهما يظلان معاً شاهد حيوية وافرة وامتزاج وتبـادل للتـأثر، يصدران عن منبع واحد فيلتقيان وبينهما برزخ لا يبغيان، لا تطغى الصرامة هنا على التهويم هناك، ولا الحقيقة في موطنها على المجاز في موضعه، ويتم التوجه إلى عالم الظاهر أو عالم البـاطن، إلى المـألوف أو المكتـشف أو المدهش، كل في مجاله وموضعه وبلغته الملائمة وفي لحظته المناسبة.

لقد تتابع صدور دواوين ياسين الأيوبي على امتداد نحو ثلث قرن، قبل صدور هذا الديوان، منذ أن صدر له سـنة ١٩٧٧، ديوانـه الأول «مسافر للحزن والحنين» وتلاه في مطالع الثمانينيات ديـوان «قـصائد للزمن المهاجر» وفي مطلع التسعينيات «دياجير المرايا» ثم صدرت مطولته الشعرية «منتهى الأيام» في منتصف التسعينيات – مُودِّعاً بها مطبوعاتـه الشعرية في القرن الراحل، ليستقبل القرن الجديد – في منتـصف عقـده الأول بديوانه «آخر الأوراد» سنة ٢٠٠٥ ثم نضجت لديه قصائد «نـار الفصول» التي أراد أن يختتم بها العقد الأول – لهذا القرن علـى طريـق عطاء شعري ممتع وثري وممتد وواعد بالمزيد.

وهذا العطاء الشعري الممتدّ، وصل بشاعرنا الآن إلى ما درجنا على تسميته في السنوات الأخيرة بفحولة السبعينيات، وهو مـصطلح أطلقـه الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي على رفاقه الذين وصلوا معه أو لحقـوا به إلى هذه المرحلة في السنوات الأخيرة من أمثال فاروق شوشه، ومحمـد إبراهيم أبو سنة، ومحمد عفيفي مطر. ويبدو هذا المصطلح متـسقاً مـع

طبيعة النتاج الشعري لياسين الأيوبي وهو نتاج، على غزارته وطول نفسه، يكاد يمثل «قصيدة حب» واحدة، بألف مذاق، ينافس كلٌ مذاق سابقه ولاحقه، عذوبةً ورقة وإدهاشاً، وتظل أنفاس السبعينيات من عمره تفيض عشقاً وحباً، كما كانت أنفاس العشرينيات، لتُثبت المقولة الشهيرة: «إن الحب لا يتوقف عندما تأتي الشيخوخة، ولكن الشيخوخة تأتي عندما يتوقف الحب». وشعر الأيوبي من هذه الناحية ينخرط في سلسلة تجارب شعراء «القلب الأخضر» من أمثال هاردي، والعقاد ممن لا تعرف أغصان الحب عندهم الذبول أو التطامن.

إن الخضرة الدائمة في قلب ياسين الأيوبي، قد يكون جانب منها، مستمداً من خضرة الطبيعة التي أحاطت به ميلاداً ونشأة وترعرعاً في شمال لبنان. ويصف أحد أبناء عمومته — محمد ياسر الأيوبي — في مقال له، ملامح البيئة التي نما فيها ياسين قائلاً: «... بحر صاف - وشاطئ أزرق، تُعَرْبد أمواجُه حيناً وتهدأ حيناً آخر، ينتصب فوقه جبل عمودي مَهيب، كان يعبده الأقدمون خوفاً ورهبة — وبينهما هضاب تغطيها أشجار الصنوبر. تطل على (السهول) وعلى البحر في آن واحد. وفوق التلة العليا، شيد ياسين الأيوبي منزله الجميل، ضمن غابة من الصنوبر، في مكان سمي فيما بعد «عزبة ياسين» وهناك، توثقت علاقاته أكثر فأكثر، بملائكة الشعر وشياطينه».

غير أن الطبيعة الفاتنة لا تخلق وحدها شاعراً — وإن كانت تساعد على تنمية الحس الشعري، إرسالاً أو استقبالاً، عند من يعيشون بين

أحضانها، وإنما تنبت بذرة الشاعرية بالموهبة، وترَعرعُ في المناخ الملائم، وتصقل بالثقافة والدربة، ويتألق العمل الشعري بحسن توظيف العناصر الشعرية ومدخلها الرئيسي العنصر اللغوي بمعناه العميق الذي يشكل الواجهة والمدخل الضروري لكل العناصر الأخرى، ويسمح للقراءة النقدية بالنفاذ منه إلى جوانب المتعة في النص الشعري.

إن الظمأ المستمر، يكاد يشكل السمة الرئيسية عند الشاعر، وهو الظمأ الذي لا يكاد يصل أبداً إلى مرحلة الارتواء، بل ولعله، لا يريد الوصول إليها. ومن ثم فإن الأشجان تشكل لديه «دورة» بالمعنى الدائري الذي لا يوجد فيه خط للنهاية، يتحقق بعده الري والسكينة، ولكن توجد بوارق الحلم الذي لا يتحقق، ومن حظ متلقي الشعر أن لا يتحقق الوصول إلى «نعماء السكينة» على حد تعبير إحدى القصائد الجيدة في الديوان. إن اللحظة تظل دائماً «قاب وعد»، لكن الطريق إليها يظل رهناً بلحظة رضا من أوراق الحنين يجتاح، بعدها أمواج الإعصار، وتَنْجاب سحابات الدوار حلماً بلحظة تروية يهفو إليها العاشق الأبديّ، لكنها تظل منه دائماً مراوِغة، فهي لا تختفي عن مرمى أحلامه، لكنه لا يطبق قبضته عليها. وكأنها خط القبة الزرقاء في مرمى البصر. تلامس الأرض والبحر في نقطة مرئية للعين لكن الأقدام والمجاذيف لا تصل إليها أبداً.

إن الشاعر يحاول الاستعانة على القريب البعيد، بكثرة ترديد أفعال النداء، والأمر، وصيغ الاستفهام والتعجب.

عانقيني يا نعيماءُ على مَدِّ انبهاري

مرِّغيني بشذا الوسنان من عينين..

ما أبدع ما يَنْهلُّ في سَرْحهما من بارق الأنغامْ!!

أَوثقيني عند ثَغرٍ سَكِرَ النرجسُ فيه والخزامْ

أسْدِلِي فوقي ذؤابات تقيَّأنَ وجيبَ الزعفرانْ

وانْطوِي .. إني تخطيتُ تضاريس الزمانْ!..

وتستمر نغمة النداء والأمر والاستفهام بين الطرفين الواقعين على نقطتي الدائرة على امتداد القصيدة. ونستطيع أن نَرصد منها دون تعمد للإحصاء... تعبيرات مثل: هل تساقيتِ؟ وشِّحيني ... يا لي من بُهور المنتهى.. لا تقولي .. سرِّحي .. أودعيه .. أبدِئيني .. إلخ... وكثير من قصائد الديوان، تشيع فيها هذه التراكيب التي تؤمئ إلى التلهف والظمأ.

إنَّ المسافة الفاصلة تجعلنا لا نكاد نسمع إلا صوتاً واحداً، هو صوت العاشق الضارع الحالم، ينادي أو يأمل أو يحلم، أو يرى من ورائه ظهر الغيب... ما الذي يمكن أن يكون لو تحقق اللقاء؟ ولكننا لا نسمع صوت المعشوق، ولا نحس بوقع خطاه وهي تقترب، ولا باستجابة أصابعه وهي تمتد. وإذا حاولنا أن نجمع من خيوط الصورة الحريرية التي ينسجها الشاعر، ملامح محدَّدة، فقد تنعقدُ خيوطُ حريرٍ بين أيدينا قبل أن نتمكن من الحصول على الملامح الدقيقة التي نبحث عنها، ومع ذلك فسوف تظل هذه

الصورة في تمويمها أجمل مرأى من صور أخرى محددة، وفي صمتها أعذب صوتاً من صور أخرى ناطقة، وسوف تظل إذن تمثل الصورة واللاصورة وسوف يظل مذاقُها ووقَعُ الشعور بها، أقرب إلى صور الأحلام.

إنها ليست صورة المعشوقة التقليدية في القصيدة المعاصرة، التي قد تجلس في المقهى، وقد تُخْلف الموعد، أو تشعل نار الغيرة، أو تمنح القبلة أو تكتب الرسالة أو تتدلل في الهاتف، أو تنزل من السيارة، أو تحمل اسماً شائعاً، ولكنها تبقى في كل الحالات، في علاقاتها مع العاشق، على خط ممتد قد يتلوى وقد ينحني وقد ينقطع، لكنه في كل الحالات له اتجاهان يُمثّلان الذهاب والعودة، وهما قابلان لأن يجتازهما كلا الطرفين بدرجة أو بأخرى. لكن معشوقتنا ههنا مختلفة: إنها تقع على طرف الدائرة، وتكاد تكون الحركة إليها لا ها هنا، ومع ذلك فهي مشعة في كل أرجاء الدائرة.

إن هذه السمات المجنحة المشعة، تمثل جزءاً من العوامل المهمة التي تجعل قصيدة ياسين الأيوبي تقع في نقطة ما في المسافة الفاصلة الواصلة بين الغزل والتصوف.

ومعشوقة الأيوبي أقرب إلى معشوقة بجماليون في الأسطورة اليونانية القديمة، فقد كان الملك القبرصي بجماليون، فيما تقول الأسطورة، فنّاناً مبدعاً، نحتتْ أصابعه تمثالاً من المرمر لامرأة جميلة، استعاض بها عن كل نساء عصره، وقد جاءت أجمل وأكمل وأتم صورة لما يمكن أن يصل إليه

مدى إبداع خيال الفنان؛ فهام الفنان بما أبدع وتمثاله غارق في صمته، مستقر في أعماق برودة المرمر الفاتن، فتضرع بجماليون إلى إلهة الجمال أفروديت أو فينوس أن تهب الحياة للمعشوقة حتى لا تظل ساكنة في أطراف «دائرة» التواصل. ولمّا زادت الضراعة، وأرسل آيات الهوى والعشق شعراً، استُجيبت دعوتُه، فإذا تمثاله الجميل، امرأة من لحم ودم، وإذا ببرودة المرمر يحل محلها دفء الجسم البشري ويحل محل الصمت تواصل في الكلام، وردٌّ على السؤال. ويحل محل السكوت حركة واقتراب. لكن تمتُّع بجماليون بحالته الجديدة لن يطول، فلسوف يكتشف أن أمتع ما في الفن هو لحظة «التوق إلى» وليس لحظة هبوط الخيال إلى أرض الواقع. وأن التمثال الجميل، حين ينزل من فوق الهضبة العالية، ويتمشى في الشوارع والأزقة الضيقة، وقد يتعثر في حفر الشوارع، يزول عنه كثير من الهالات المجنَّحة. فسارعَ إلى التضرّع إلى الآلهة بأن تعيد المرأة الجميلة إلى تمثال جميل يقع في بؤرة الدائرة المتأمّلة، وفي بؤرة خيال العاشق وأحلامه، بدلاً من وقوعها على نقطة ما في الخط الفاصل والواصل بين الرجل والمرأة.

إن تأملات ياسين الأيوبي الشعرية من هذه الزاوية، تقع في منطقة المادة الخام «لإكسير الشعر» التي تجنح في حدها الأدنى إلى ملامسة الواقع، وتكاد تقدم نمطاً من «الشعر الخالص» وهو نمط لا يصدر بالضرورة على أنماط أخرى من التأملات التي قد تنطلق من «تشعير الواقع» وتصعد بواقع المتلقي

إلى درجات من مناخ الهضاب والقمم، حسب ما يتاح للطاقة الشعرية أن تبلغه، على حين تتخذ الشعرية الخالصة في النماذج التي بين أيدينا الطريق المقابل، منطلقة من أعالي القمم والهضاب وهي تتدرج في حذر نحو مشارف السفوح، دون أن تضطر إلى ملامسة الأرض في كثير من الأحيان، وقد لا يكون من المصادفة أنّ منزل ياسين الأيوبي يقع في قمة عالية تطل على البحر بين غابات الصنوبر في جبال لبنان!

في قصيدته الجميلة «كرنفال الحضور» التي كان الشاعر قد اختار عنوانها بُرْدة يتوشح بها الديوان، و لم يستَبْدِل به عنوان «نار الفصول» إلا بعد أن تألقت ومضةٌ من العنوان الجديد، في آخر بيت في القصيدة، جعلت فاروق شوشة، وهو يسمعها، يقترح عليه الجملة المشتعلة المتوقدة، عنواناً على ديوان لا تَبْرد فيه المشاعر ولا تفتُرُ الكلمات ...

في هذه القصيدة الجميلة يتبدى كثير من ملامح الآفاق الشعرية التي أشرنا إليها، ويكاد الإهداء النثري في أولها يشير إلى طرفي الأفق الشعري: «الفردوس والأرض» حين يقول: «من وحي لقاء فردوسي محموم على الأرض»، وكأن اللقاء على الأرض أو النزول إلى الأرض، استثناء يُشار إليه، وكأن طبيعة اللقاء ومكانه المرتقب هو الفردوس. وفي هذا الإطار تُرسم ملامحُ المعشوقة الملائكية «الطائرة» التي يشير إلى حركتها في المقطع الأول فعْلانِ هما «عبَرْتِ» و«حطَطْتِ» وهما يكونان عادة وصفاً لحركة واستقرار اليمام والحمائم وما شاكلها من عصافير العشق، ومن خلال

فعل «العبور» الذي يتضمن السرعة الخاطفة «والحطّ» الذي يكاد يتضمن التأهب للانطلاق، خصوصًا أنه «حطَّ» على تباريح «الهوى» من خلال هذين الفعلين العابرين للمعشوق، تتحرك أفعال الدائرة المحيطة «فينبهر المدارْ»، و«تنجابُ العتماتُ عن هدب الأصيل»، ويتجلى في الفعلين «انبهر» و«انجاب» سرعة تجاوبٍ ملائمة مع الفعل «عبرَ» و«حَطَّ»، ووسط هذه الأفعال الأربعة يبدو الفعل الوحيد المتصل بالعاشق «ترنَّحَ موكبي» متهافتاً من أكثرها بطئاً وأناة؛ وأين الترنحُ من سرعة العبور والحط، وقوة الانبهار والانجياب؟! ولكنه بطءٌ تبرره مقدمات الصورة: «على وقع احتضاري وانطوائي.. خلف مئذنة الأفول». وتبرره خاتمتها «من فرط أغمار الحبور».

وما إن تدخل القصيدة مقطعها الثاني، حتى يدخل بنا الشاعر في مونولوج داخلي، يمهد له بيت الافتتاح:

«حدَّثتُ ذاتي:

كيف للأيام أن تستطلع الشمس بُعَيْد الاحتجابْ؟!

تُشْرِقُ من وجهٍ سلافيِّ الرِّغابْ،

تَغْمرُني وصلاً بوُسْع السهد وافاني.. مدى المسلوخ من عمري

ضموراً واكتئابْ؟

وتستمر الصور الساحرة الجميلة للطبيعة وما فيها. لكنها صور تفرّ من بين أصابعنا فِرار أشعة الشمس إذا حاولنا الإمساك بها، ونحس من خلال السياق أنها تؤهل المسرح لعرض اللقاء، لكننا وسط تتابع المونولوج، لا نكاد نحس بأثر واضح للمعشوقة حتى على المستوى اللغوي، فالأفعال التي تُعبِّر عنها، والضمائر التي تعود إليها، تختلس ضمناً من خلال عبارات مثل: «كيف اتَّشَحْنا بضباب أخضر من بَيْن ثغرينا»، وتبقى بقية الصور والأفعال، أكثر اهتماماً بعبق الإطار المحيط منها ببؤرة الدائرة، وتلك سمة من سمات «أوراد العاشق» وعدم الاقتصار على دائرة «آهات المحبين».

إن مقاطع القصيدة تتوالى وهي تحرص في فاتحة كل مقطع، بغريزة فنية عفوية، على تأكيد الطابع المونولوجي أو الاستفهام أو الانبهار مثل: «حدَّثْتُ نفسي... كيف اتَّشَحنا؟ ... كيف تراءى اللثمُ؟» دون أن يدخل المشهد الشعري في مناخ الديالوج أو الحوار.

ومن اللافت للنظر في البنية الموسيقية لهذه القصيدة أن إيقاعها يمثل تصاعد درجات الوله عند العاشق المتيم «فهو على امتداد مقاطعه يُنَوِّع الإيقاع» فيبدأ المقطوعة الأولى بإيقاع «مفاعلتن» التي تتحرك ويتحرك الشاعر مع التفعيلات المتقاربة والمتداخلة مع سيطرة على النغم ومواطن الارتقاء فيه دون نتوء أو نشاز يصطدم بأذن المتلقي وهو في خلال هذا كله يظل في إطار نظام التفعيلة – حتى إذا ما تصاعدت أشواقه وانتظمت

أنفاسه عمد بعد المقطع الرابع إلى نظام البيت العمودي، على بحر البسيط، وهو بحر شديد الصلة، بأوراد الذاكرين، وتنتمي إليه قصائد صوفية مشهورة مثل: «أمِنْ تذكُّرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ» وأخواهَا، وقد استقام للعاشق نغَمُ الذاكرين حين ركب البسيط قائلاً:

ما كنت أعلم أن العشق مرقاة

يسمو بها العاشق الولهانُ للحُجُبِ

حتى انطوى قدري في موكبٍ ثملٍ

أشرفْتُ فيه على مَرْجٍ من اللهبِ

فارتاب مني الفؤاد — ارتاعَ من حُرَقٍ

لهفي على الخافق الظمآن من حقَبِ

جاء مقطع البسيط في قمة التصاعد الشعوري، والنغمي للموقف الذي مهَّد له وعبر عنه، شيوعُ أنساق تعبيرية في المقاطع السابقة عليه، أنضجتْ حُميّا التأمل والانتشاء. ويلفتُ النظر مرة أخرى، أن يمثّل هذا المقطعُ وسطاً بين حُزْمتين من الأنساق التعبيرية، الحزمة الأولى هي التي أشرنا إليها في إنضاج الحميا وقد اختارت المونولوج والاستفهام والتعجبِ، وأما الحزمة الثانية فهي التالية لمقطع البسيط الترنمي، وهي تمثل مرحلة الرغبة في قطف الثمار، وقد تمثلت بشيوع فعل الأمر في كثير من مقاطعها (... دعيني أرتشفْ وردَ الأقاحي ... دعيني أختلجْ وجعاً حميماً

... دَعيني إنْ رَنَوْتُ إليك ... أَوْليني ... مرِّغي الأحداق... أَقيلي وَصليَ المسفوح... دعيني... هلمِّي نخْترقْ حُجُبَ .. هلمي نخترق مدداً إلخ ...)
وهو شيوع لافت للنظر، تتولد منه على مستوى القول، على الأقل، حركةٌ تُعَدِّل من خفوت صوت العاشق، وبطء حركته في المقطع الأول من القصيدة، عندما كان يترنح موكبه متهافتاً من فرط أغمار الحُبور، وهي الحركة التي جعلت العاشق يُوقِدُ نار الفصول بعد أن عبَر الأعرافَ وانتشل ذاته من رقدة الاحتضار خلف المآذن.

إن أوراد العاشق المتتالية، لا تتلى في بؤرة الدائرة فحسب — وإنما تتوجه أحياناً إلى محيطها في نغم هادئ الأنفاس، يبدو وكأنه «استراحة المحارب» إذا قيس بتلاحق الأنفاس اللاهثة في مشاهد العشق الخالصة، وقصيدة «حباب الفجر» نموذج لهذه الأنفاس الهادئة، وهي ترصد لحظة ميلاد الضوء في خدر الشمس قبل البزوغ:

حَبَبْتُك لم تَبزُغي من عقالِكْ

نعِمَّا الأشعةُ تنْهَلُّ من سَرْحِ غارِكْ!

وهذا المفْتَتَحُ التقريري، لا يفوته أن يبدأ بالحب، وأن يعلن احتفاءه بالتأهب للانطلاق من القيدين، العقال والغار، أحدهما رمز السكون قرين الجمود، والثاني رمز الظلمة والوحدة، وكأن المفتتح الهادي، يشير إلى القيدين اللذين يجهد العاشق في كسرهما على امتداد القصائد الأخرى، وهو من خلال الفعلين (بزغ وانهلّ) يحلم بالميلاد والتدفق.

ثم يعقب المفتتح ترنيمةُ إجلالٍ للعروس التي ظلت لسحرها تمثل مكان القداسة ردحاً من الزمن، وما زالت تفيض منها الحياة عندما يخفق ضوؤها فتذرُّه نفثة منها والندى ما يزال غافياً؛ وتلك صورة مبتكرة يهتدي إليها الشاعر مؤكداً رهافة حساسية الاستقبال وشدة براعة الإرسال. وبعد ترنيمة الإجلال تتعاقب لوحتان، ترصدان الكائنات التي استقبلت نفثة الدفء والضوء الأولى لكي تشعا بها في الكون بهجة الحياة. وتأتي اللوحتان بالترتيب الذي عوَّدنا عليه الشاعر، حين يبدأ التقاط الصورة من أعلى نقطة في المنظور، ثم يتدرج في النزول حتى يلامس الأرض؛ فالملائك شجية من وراء الأفق والحساسين في السماء نشوى تغني، والزنابق فوق الأرض تتهدّل أشواقها:

ألا أيها الغادياتُ ...

تخايلْنَ زهْواً سَمَتْ في رؤاها الحساسينُ

نشوى بشَجْوِ الملائكْ

تهدَّل شوقُ الزنابقِ

يرسمن مُهْتاجَ طرفي

لوهج اللياليكْ

فتنداح دائرة الصمت...

وكما يتحرك الضوء والدفء والحياة هابطـةً مـن الملائـك إلى الحساسين، إلى الزنابق فى ما يمكن أن يكون خطاً رأسياً نازلاً، يتحـرك خطٌّ أُفقي مُوازٍ، يحملها من وجه الزنابق إلى خاطر السنابل:

ضممتك في خاطر السنبلةْ

ضميمَ الفراشِ لخفقةِ ضوءٍ...

وحَتْهُ البراري هزيعاً...

فذاب اتحاداً بنار الوله.

إننا أمام شاعر جيد، يعرف كيف يلتقط اللمحة الدالـة، وكيـف يصوغها وكيف يرسلها في نسق فني بديع.

كثيرة هي مواطن الإمتاع الفني، المغرية بالتأمل في ديـوان «نـار الفصول» لياسين الأيوبي، ولا يطمع قارئ واحد، ولا ينبغـي لـه، أن يستنفد ما في تلك المواطن من سمات راقية، لكننا نود في نهاية المطاف، أن نشير إلى ظاهرة «استشراف الشاطئ الآخر»، شاطئ ما بعد الحياة، وقد تجلت في كثير من القصائد، مثل «ميلوديا الوجع الأكبر» وهي سـباعية تتحدث عن الأوجاع الذاتية والروحية المتعاظمة مع الزمن، وهي شـبيهة بقصيدة محمود درويش المطولة التي تحمل عنوان: «جدارية». وإلى نفس الشريحة تنتمي قصيدة «مئذنة العبور» وهي القصيدة التي كتبها في ما يبدو، احتفاءً بعامه السبعين ولامَ فيها قلبه الذي لم يَمْتثل، واستشرف الـشاطئ

الآخر مُحمَّلاً بأنغامِ وأنّاتِ مالك بن الريب، مع تجاوز له في عمق النظرة وثبات الخطوة. ثم جاءت قصيدة «ترجيعات البعد الآخر» لتشكل قمة التماهي والذوبان، والالتحام مع الطبيعة، التي تستقبل عناصر الأُرُوج الطيبة، فتسقيها من غوادي المزن، وتُنبتها جذوعاً وأغصاناً وأوراق ورد، ثم يحملها النسيم الرقيق فيعطر بها الأجواء، وتسوق السُّحُبَ أمامها فيتواصل الري والعطاء:

يا غوادي المزن ساقيني

نجيعَ الزعتر البرِّيّ والقَصْعينِ

أضحيتُ جَزوعاً من سُبات الدهر

ينتاب خيالي واليراعْ

ازرعيني شلْحِ عَرْعارٍ

على ضفةِ وادٍ راغدٍ

يُصغي إلى عزف الرياحْ

تَجديني بَعْد حينٍ سُحباً

من عاطرِ الأنسام تسري في البطاحْ!

إنما لحظة ذوبان العاشق الشاعر في الكون المعشوق الأكبر، وفي ما وراء الكون، وفي زهرات الكون الموزَّعة بين وحدات الطبيعـــة، وبـــين مواطن الجمال في بني الإنسان، كما تلتقطها حساسية الشاعر الفنان!...

القاهرة في ٢٢/١/٢٠٠٩

تأملات مغربية

[قبيل مغادرتي النهائية مصيفي الجبلي الخالد، شئت أن أقوم بجولة مسائية، أصعد فيها قمم «الحدث» وروابيه، فقصدتُ الربوة الأعلى، وهي إلى الجهة الجنوبية، فأوقفت سيارتي عند نهاية الطريق المعبّدة التي توصل إلى هذه الرابية.. وأخذت أتأمل الطبيعة وأغرف من خوابي جمالها الفتان، يميناً وشمالاً، سُحباً بيضاء ووردية من لهاث الشمس الغاربة.. وعوضاً عن كتابة تأملاتي نثراً، فاضت القريحة عن هذه القصيدة التي صورت كلَّ ما اعتراني من رؤى وتحسُّسات اصطبغت بلون المغيب وما أدراك ما المغيب!].

مناجـــاة

أبتْ عيناي أن يمضي النهار

كأمسه

فسلكتُ درباً نائياً

أفضى إلى زمن السكونِ

المطلقِ..

فناجيتُ البراري الهاجعاتِ:

أما ترومين اعتناقاً

من مَشُوقٍ مُرهَقِ؟

والقفرُ أخلدَ للفراغ المطبقِ؟!

******

أُفُـــول

يُهاتيكَ الطيور الغاربات

التفَّ حولي الآنَ،

فيضٌ من ذهولِكْ!

تَروَّيْ في الرّواحِ..

الشمسُ أدنتْ قرصها

للبحر

زفِّيها .. لترتيلِكْ!

دعيني أتَّبعكِ إلى الوكورِ

عسايَ أفلتُ من خناق الغيبِ

هالتني الرفوفُ المسرعاتُ

وشاقني العتْمُ المبكِّرُ

يا لَخوفي من أفولك!!

****

اختـــــراق

إلى أين المصيرُ؟..

جنحتُ يا نفسي إلى المجهولِ

لا أدري: انتباهٌ

ذلك التسآلُ..

أم حومُ الفراش

على مدار الضوء...

حتىَ الاحتراق؟!.

إلامَ الإنتظارُ..،

وكل شيء دائرٍ

في قُبَّة المقدورِ...

يسعى جاهداً، للإختراق؟!

سرابٌ سعيُنا..

لا بد من بنيان وهمٍ

فوق أبراج المشيئة،

أمْ: عبورٌ

تُعصَبُ العينان فيه

خشية الرؤيا الهلوعِ

والانسحاقْ!

(حدث الجبة/ شمالي لبنان، مغيب يوم الخميس ٢٤ تشرين الأول سنة ٢٠٠٢).

من شرفة القصيدة

تتدافع الأيامُ

في نفق اغترابكَ

مثقلاتٍ بالخطايا

حتى متى تبقى على شظَفٍ

تؤوبُ إلى اكتئابٍ

موهَناً

من فرط أوجاعٍ

تضجُّ بها العشايا؟!

******

حتى متى...

أنت الذي اقتحمَ المدى

اجْترحَ الردى..

تذْوي على مَهَلٍ

تَهْمي على وَجَلٍ؟

لا تهْتدي لرذاذ خاطرةٍ

بوُسْع الإنعتاق؟!

******

مِن خَفْقِ وارفةٍ

على كتف الحقولْ،

كان الزمانُ يحطُّ عندك رحْلَهُ

ويطوف حول مواقد المرجانِ

والحبقِ الخجولْ...

****

من نَفْح زنبقةٍ

تعهَّدها السكونْ

في آخر الفلواتْ...،

كانت تقاسيمُ الحبيبةِ

تخْطِفُ الحَدْسَ الملفَّعَ بالسُّباتْ...

وتراك تنْسكبُ انشغافاً

بالسكونْ

وتُمرِّغُ الشَّممَ الدفينْ

تلْقاءَ هسْهَسة شريدةْ

هبَطتْ إليك لتوِّها

من شُرفة القصيدةْ...

نعْم انتماؤكما المُضمَّخُ

بالوجيبْ

تتعاطيان الهَمْسَ

مصحوباً بأنفاس المغيبْ!

يا ذانك النهران،

مندَفعَيْن من قَبْل الخليقةْ

نحو انخطاف الضوءِ

واللقيا المشوقةْ

طُوفا على الآفاق

وابْتَنيا مجَرَّاتٍ...

لَرؤيا بيلسانٍ

في صقيع القَفْرِ

خيرٌ من ورودٍ واجفاتٍ

أنبتَتْها الريحُ فوق الهاويةْ...

ما كان أحراها، لو اتَّسَقتْ

مع الأقرانِ،

جَذْلى في ضمير الآنيةْ!!..

******

يا تلكمُ الأشواقُ...

مَنْ لي... في زحام الوصْل

مِن بَعد انطوائي

خلْفَ آكام الضَّياعْ؟!

****

مَن ذا الذي...

يجتاح بَيْدائي،

يُسرِّحُني من الصَّممِ

احْتواني، منذ غادرتُ اليَنَاعْ؟!

****

هَجَعَ الفؤادُ على مفارق غربتي

وجَرَتْ أغاريدي

مُخضَّبةً بحشْرجة الوداعْ!...

****

أتُراني، اختَلط النجيعُ

بأدمعي،

واصطكَّ سمعي

بالدَّويِّ...

الْتاعَ فِيَّ الحسُّ؟...

يا طول الْتياعْ؟!...

****

أيَّان مِرْساتي

وبَحْرُ مَواجدي

انْثَقبتْ أقاصيه

فغَارَ الوصْلُ

وانْسربتْ مناجاتي

سطوراً مُطْفأةْ

وتناثرَ الإيقاعُ

حبّاتٍ من الطَّلْسَمِ

لا قاعٌ لديَّ

ولا أديـــــمْ!...

أوصاليَ ارتعدتْ

فأين المدفأةْ؟؟..

****

سيَّانِ عندي: العَوْمُ فوق اليَمِّ،

أو وَقْعٌ لِمجذافٍ

تناهى في الضَّبابْ،

أوَّاهُ مِ التجذيفِ في يَمٍّ

تكنَّفهُ الضبابْ!!

****

البتراء – الأردن

طرابلس – لبنان

٨–٢٥ آب ٢٠٠٥

كرنفال الحضور

على وقع احتضاري وانطوائي

خلف مئذنة الأفولْ

عبرْتِ مواجعي، انتفض الهزارْ

حططتِ على تباريح الهوى

انبهر المدارْ

وانْجابتِ العتماتُ

عن هُدْبِ الأصيلْ...

ترنَّح موكبي متهافتاً

من فرط أغمار الحبورْ

******

حدثتُ ذاتي:

كيف للأيام أن تستطلع الشمس

بُعَيد الاحتجابْ؟

تُشْرِقُ من وجْهِ سلافيّ الرغابْ؟

تغمرني وصلاً بوسع السهدِ

وافاني

مدى المسلوخ من عمري

ضموراً واكتئابْ؟!

تضحي سكوناً مُطْبقاً

صعَّدتُ فيه النشوة الكبرى

أغاريداً عِذابْ

كيف اتّشحنا بضباب أخضر

من بين ثَغْرَيْنا،

ومن خلف المآقي

وعلى تقسيم أنفاسٍ

غدتْ فيه الجلاميدُ

عذارى

سابحات في فضاءٍ

لدُنيٍّ الغيْمِ

مِسْكيٍّ الضياءْ ؟

******

كيف تراءى اللثمُ

سِرباً من فراشاتٍ يباكرن الرحيقْ

وأناشيدَ من الحُور

افترشْنَ الغاسق المهجورَ

إيذاناً بأعراس الشروقْ!.

******

حدثتُ نفسي:

كيف يرقى القمرُ البدرُ محيايَ

يساقيني غراماً

لم يَذُقْه الوارفُ الوسنانُ،

من لفح السحورْ ؟

كيف الشفاهُ القُزحيَّاتُ

يسامرن جفوني

يترشّفن قروحي

بانشغاف الماءِ بالزورق

ينساب خفوتاً

في عشيات الهيامْ ؟

كيف الثنايا البيلسانيةُ

تهمي سكّراً مُقطَّراً

من رشحاتِ المُدامْ؟!

******

وا روعةَ اللَّبّانِ

والشَّهد المصفّى

وترانيمِ الوصالْ..

تجتاحني مندفعاتٍ

كغوادي المزنِ

أذكتْها رياحٌ لا تنامْ

******

وا طيبَ مرشوفٍ طواني!

لم أعد أذكر شيئاً

من كياني

غير أني...

في روابي الخالدين

أَستاقُ ديجورَ الدهورْ

أقطفُ

من زنابق الضوءِ

وأغدو مترعاً بالرَغَد الطهورْ

مرصَّعاً بالشغف الورديّ..

مزفوفاً لأعتاب الحضورْ..

******

وا صخَبَ النشوةِ تغشاني،

مسجًّى فوق أدراج النشورْ؟!

حولي جرارٌ مثقلاتٌ بحَباب الشوقِ

ينتابُ الصدورْ

******

ما كنتُ أعلمُ أن العشق مرقاةٌ

يسمو بها العاشق الولهان، للحُجُبِ

حتى انضوى قدَري في موكبٍ ثملٍ

أشرفتُ فيه على مرج من اللهبِ

فارتاب مني الفؤاد، ارتاع من حُرقٍ

لهْفي على الخافق الظمآن، من حقبِ

يا ضوعة الحُلُمِ المنسوج من جزعي

وشّيتُه بشذا المخصوبة الهدُبِ

أسرجتُ فيها لُباناتٍ معتَّقةً

من لي بريّانةٍ قامت على نُصُبِ؟

طوّفتُ في جمرات الوجه مستلماً

ركن التهجدِ في أفياء محتربي

آمنتُ أني على هَدْي اللظى مَلَكٌ

جوانحي انطلقت من شامخ الشهبِ

وغار فيَّ ضموري واستقام غدي

أحْبِبْ بها من غداةٍ! طال مغتربي

****

دعيني أرتشفْ ورْدَ الأقاحي من عِذاريكِ!

ومن أفياء وجهكِ أقتطفْ نوّار آسٍ!

دعيني أختلجْ وجعاً حميماً

من دوالي خافقيكِ!

سلختُ العمر أبحث في القفار عن انبجاسي،

فكنتِ الجدول الرقراق في الأدغال

لا يرتاده إلاّ شُذَاةُ الإغتسالْ

يساقون النعيم مضرَّجاً

بشذاً يُسَلسَلُ من رُضابيْكِ

دعيني أغترف من نهرك الصخّابِ...

أضواني الظما!

******

عديني .. إنْ صبوتُ إليك

وارتعشت حُبَيباتُ اللمى،

انْسكبي اهتياجاً،

أشرعي الخفق الدفين...

المرجةُ الخضراءُ

وادعةً، تلظّى،

نشوةً وترنُّما!

******

عديني.. إن رنوتُ إليكِ،

أوليني السكينة،

مرِّغي الأحداقَ

بالموار من غسقكْ!

أقيلي وصليَ المسفوح

قرباناً على وَهجكْ!

تَصَبَّبي زلالَ روىً،

غَنيتُ بدافق الحسرات

من فرط الهجير..

اختالَ فيَّ الشجْو

برَّحني اندلاعٌ من صباكِ الغضِّ

ضميني إلى سَعَفكْ!

******

دعيني.. الروحُ قد بلغت

مراقي الوجد

وانطرحتْ على العتباتِ

تنتظر الولوجْ

هلمي نخترقْ حجباً

فما يجدي انتظارٌ،

مجْدنا أن نهتك الأسرار

نفتضَّ الختامْ!

هلمي نخترقْ مدداً

نُرِقْ أكبادَنا رغداً

ونبدئُ خلْقنَا وفقاً لما نهوى

فما عُجْبٌ يفوق ولادةً

من صرصر الإعصار

يَعصفُ بالضلوعْ!!

******

على وقع احتضاري

خلف مئذنة الأُفولْ

عبرتِ شواطئَ الأعرافِ

هدهدت الطلولْ

صحوتُ على تَثَنِّي الموج

يصدر عن روائي.

******

وسْطَ أحضان الذهولْ

بصرتُ بنَفْسيَ

انبلجتْ جُماناً

بين عينيْ

مَن روَتْ بشفاهها

سِفْرَ انبعاثي...

******

أوقدتْ نار الفصولْ !!

٢٤ نيسان ٢٠٠٦

قطرات ندى

نَديت،

فأنْدَتْ قوافلُ صُبحٍ

ترَقرَقَ في ناظريكِ

وغرَّدَ شوقٌ لِلَثْمِ الجِمار

فطيبي حضوراً

وفوحي حبوراً

فإنّ السكون تناهى إلى مَحْجِريكِ!..

******

حنَوْتِ،

فرانَ على الكون رعشةُ وَصْلٍ..

وتَمْتَمَ ثَغْرٌ،

فرجَّعَتِ الوُرْقُ

أطيافَ لحْنٍ تَضوَّع في خافقيكِ!..

فخلّي اليراعةَ تغزِلُ

مشْبوبَ نَظْمٍ

تَقطَّرَ في وَجْنتيكِ!..

******

سَموْتِ فتوناً،

فذبتُ شجوناً،

وجَلجلَ بَوحٌ

يحاكي اصطخاباً على شاطئيكِ...

حَنَانَيْك!

لا تُوقظي الحُلْمَ ..

ذاكَ انْسراحٌ

تبلَّجَ في دغشة العمر،

هلاَّ ترعرَعَ في حنَّتَيْكِ؟!..

******

تعالَي إلى واحة العشْقِ،

أمْلي عليَّ

نشيدَ الخزامِ
اصطفَتْهُ الينابيعُ
مُذْ هاجَ وردٌ على شفتيكِ!!
******

أريقي سُلافَ العصورِ ...
الجُمانُ الممرَّدُ في القاعِ
خَضَّبَهُ الوهْجُ
يَسْطَعُ جَذْلانَ من مُقْلَتَيكِ!
****

هَبي لِي انشغافَ الهَجيرِ
بوابلِ طَلّ
يُرصِّعُ هام الصخور
بفَيضِ الحبورِ،
ويُبْدِعُ مجْدَ الحياةِ
بأغوار ذاتي..
فينسابُ لحنُ الوجودِ

احتفاءً بعُرس الوصالِ...

******

تُراني أُطوِّفُ في مرْجة النورِ
مُفْترشاً راحَتَيْكِ؟!!

أواخر عام ٢٠٠٦
و ٢٠ أيار ٢٠٠٧
نورث مارينا / طرابلس

حَبَابُ الفجر

حببتُكِ لم تَبْزُغي من عِقالكْ ..
نعمّا الأشعَّةُ تَنْهلُّ
مِن سَرْحِ غارِكْ!
طويتِ السنينَ،
اعْتَصرتِ المدى،
تَذُرّينَ خفقكِ
قبل انتباهِ الندى..
ووقعُ الزّمانِ يرقُّ
ارتقاباً لِموّار بانِكْ!..

******

ألا أيها الغادياتُ
أقبلْنَ زهْواً،

سَمتْ في رؤاها الحساسينُ،

نشوى بشجْوِ الملائكْ!

******

تهدّلَ شوقُ الزنابقِ

يرسمْنَ مُهتاج طرْفي

لوَهْج اللّيالكْ

فتنداحُ دائرةُ الصّمت

نزّاعةً لابتهالٍ

تضوَّعَ في جُلّنار قوامكْ..

هلمّي اضْفُري موكبَ النورِ،

سُوقي الدياجيرَ

خلفَ التخومِ

الأساريرُ

أنْحَلَها الرغَدُ البكرُ..

أيّان مُرسى شراعكْ؟

******

ضممتُكِ في خاطر السنبلةْ

ضميم الفراش لخفقة ضوءٍ

وَحَتْهُ البراري

هزيعاً..

فذاب اتحاداً بنار الوَلَهْ!

ألا فاسلكي الدربَ،

ضُمّي فلول شعاعٍ

تدثّرتُ فيه طويلاً،

لعلي أحطُّ رِحاليَ

تحت ظلالكِ!!

****

نورث مارينا/ طرابلس (١٠ و٢١ أيار ٢٠٠٧)

ميلوديا الوجع الأكبر

١- نحو الأعماق

الوجعُ الأكبر يمخر أعماقي

يقتات بأوراقي

الروح الأنور يغشاه سديمْ

عشَّش فيه الحزنُ

فأمرعَ في آماقي

جُدْ يا قلمي.. انْسبْ هتّاناً

امسحْ كلَّ الأدرانْ

عرِّجْ صوب رفوفِ الوروارِ

احتشدتْ ثمةَ فوق خميلتنا

جذلى من وقع الهادر من تَهيامي!

٢- نحو الذاكرة

الوجع الأكبرُ ينهشُ ذاكرتي

يبتلع نحولي وشحوبي

المرتسمَيْن على شرفة آخرتي!

ما أفظع أن تُشرف من فوق الأحقابِ

على أمداءٍ حيكتْ من غسق الأقدارِ!

ما أغرب أن تصبح رقماً منسيّاً

من بعد حضور

شنّفَ أحداقَ الأيامِ

فماجَتْ من رَنْحٍ ودُوارِ!

وتلوَّتْ برحى الإعصارِ

٣- غائلة الذات

الوجع الأكبر يمضغني الآن على مَهَلٍ

فارقني الحسُّ بإحساسي!..

هل أُسلِمُ ذاتي

لغوائل ذاتي،

وفحيحِ الموت الزاحف

فوق نضوبي ويباسي؟

فار التنورُ

اصطخب الموجُ بآمالي..

يا لنـــزوحي المعتم يَسلُكُ

وطن الأرماسِ!

٤- نحو الأعراف

الوجع الأكبر يأخذني صُعداً

نحو الأعرافِ

مسجّى

بين العبقِ النورانيّ

يهبّ رُخاءً عدنيّاً،

واللّفْحِ المحرقِ يصْلاني

صيحاتٍ نازعةً

يرتاب لها الملأ الأعلى

يزّاورُ من فرط رُهابي

ويخرّ صريعاً مسفوح الأهدابِ

٥- نحو الجبل العاصم

الوجع الأكبر غادرني

أشلاءً تبحث عن سيماها

أطلالاً بكماءَ تعرَّتْ من مغناها

أرّخْ يا وجعي أني هاجرتُ بحمَّاك

إلى ما قبْلَ القَبْلِ

وبَعد البَعْد،

لعلّي أستطلعُ وجهي وأُسَطِّرُ في سِفْر الأوجاعِ

أُواراً أزرق لا لغوٌ فيه ولا تأثيمْ

علِّي أرقى جَبلاً يعصمُني

من جَزع الأبعادِ

وأشداق التنينْ!!

أرّخ يا نصْلَ التكوينِ

وقوسَ الحاجب في عِلّيّينْ!

أزِفَتْ خاتمتي

اسّاقَطتِ الأوراقُ

خفوتاً عن داليتي..

أمسيْتُ الآن ركاماً

من أوزارِ الشهْبِ

تجوب الجوزاءَ

لتغسل عار الرَّصْدِ المأفونْ

٦- حصاد الريح

هل أبلغُ مَجْمعَ هاويتي؟

أتدحرجُ كصلاةٍ

غَرْغَرَ فيها صدرٌ حرَّانْ؟!

يا بَوْحاً مبتور الأنفاسْ

وقوافل آهات أسلمتِ الروحَ

لأمواهٍ خضّبتِ الشطآن!

واهاً لرَخاء

هدهدَ فيَّ الأحزان!؟

وهجود، بوّأني أوراداً

جُنَّ الوردُ بها والريحانْ!..

واهاً لزمان

كانت فيه الليلةُ تختصر الأزمانْ!..

رُطَباً عالقة في جفن الوزّالِ

وأهداب الصفصافْ

نُغباً من معصور جَنان

حدَّثَ عنه السمَّارُ طويلاً..

وتناهتْ أوصافْ!..

واهاً عمري الورديَّ الأنقى

ومعارجَ خفقٍ نشوانٍ

نحو الأرقى!..

يا لحصاد ذرَّتْه الريحْ

فَخَوَتْ أوديةٌ، وَذَوَتْ أعطافْ

٧- بحيرة القروح والأدران

الوجعُ الأكبر يغْزلني شرنقةً

في سعة الأسطورةْ

يزرعني غابةَ أشواكٍ

أدمتْ عُنُقَ الأوزانِ

وأفياء الصورةْ

فتناثر شِعري حُمماً صفراءَ

تَنـــزُّ بها كبدي المقرورةْ

وتورَّم قلمي..

فأنا الآن بحيرة أدران

ومسيلُ قروح مصدورةٍ!!

مئذنة العبور

أو

قصيدة السبعين

«أعمارُ أُمّتي ما بين الستين والسبعين».

(حديث نبوي شريف)

لُهاثُكَ يا فؤادي

ارتابَ منه العمرُ

أُجهِشَ في انتحابِ..

إلامَ الخفقُ مصطرعاً

على جنباتِ ذاتي

مُتْرِعَ التحنان للفردوس

تَعبُرُها حثيثاً في متاهات الضبابِ؟!

****

شخَصْتُ إليكَ مُغترباً

أنِ اسكنْ، هَدأةً،

ضَمِّخْ هجودَكَ

بالتراتيلِ العذابِ!.

تملَّكَني الشحوبُ،

اجتاحَ ميلادي

انْحَنَتْ قُمريَّةٌ فوقي

تُكفكفُ عشْقِيَ المسفوحَ

في غلسِ الشبابِ..

تُساقيني الولوعَ

على أليف الدوحِ،

فاكتأبتْ غصونٌ

والْتوى جِذْعٌ على كَتفِ الغيابِ!..

******

نَزحتَ عنِ الرقادِ..،

الفجرُ تاقَ ليقظةٍ وسْنانةٍ

تُذْكي شميمَ النرجسِ البريِّ..

يَبْتردُ اللظى المحمومُ

في الشُّمِّ الروابي..

نزعْتَ إلى جهادٍ أغْبرٍ

ترتادُ فيه حرائقاً

لا تنطفي جمراتُها

حزناً على الترياقِ

تُسقاهُ غُثاءً

من ضُحيَّاتِ السَّرابِ!..

****

تُدَغْدغُني نُسَيماتٌ رِقاقٌ

مُرْسَلاتٌ من عتيقاتِ الخوابي،

تُسائلني العُزوفَ عن الجهادِ؛

الصبوةُ، المَغناةُ،

قائمة هنا،

على شفير الإغترابِ..

فأُطرِقُ مُثْقلاً

بِهَدير أمواجٍ

تَغَشَّتْني كما الطوفانُ..

هَيِّئْ نفسَكَ:

النهرُ الّذي طوَّفْتَ في أرجائه..

البحرُ الّذي أشرعتَ فيه الزُّرْقَ

منْ أحلامِكَ...

ارْتَحَلا.. بعيداً،

اغْتَرِفْ ما شئتَ من دنياكَ

وارشُفْ ما تَخَثَّر من لُعابِ!..

****

الضفّةُ الأخرى تُلوِّحُ

بالجنى الفينانِ

مغموراً بآلاء الزمرّد والجُمانْ..

ترفَّقْ!!

ما أَراكَ تَقَرُّ من نَصَبٍ،

تُرَوَّى من أفاويق الجوى..

أمْسكْ عليكَ رؤاكَ

من ضوضاءِ نظْمِكَ،

بُحَّتِ الآهاتُ في ترجيع قيثارِكْ!..

بلَغْتَ سَنا انْبهارِكَ

واحتسَيْتَ الصفوَ من أنداءِ أسْرارِكْ،

وما فَتِئَتْ سطورُكَ،

تجتلي غوْرَ اللُّبابِ!..

الضفّةُ الأخرى... على قَوْسينِ

من لمْح البَصرْ..

أعِرْها سَهْمَ طَرْفكَ..

قد يُسرِّحُكَ النعيمُ المنتَظَرْ..

هيهات تُولَدُ من جديدٍ

في حياةٍ، دأبُها التغريرُ بالآمال،

من قبل الولادة،

والتعلُّلُ بالهيام المُسْتَعِرْ..

حاشاكَ يا قلبُ انجرافاً

في المسيلِ المُعْتَكِرْ!!..

****

حدِّق مليّاً..

صوبَ مئذنةِ العُبورْ!..

تَجرَّعْ من سُلافِ الوهمِ،

أدْرَكَكَ النفيرْ!..

هَلمَّ احزِمْ وصالَكَ

واستَعدَّ لنُجعة الخُلْد

اصطفاها الخالقُ الديَّانُ

للصفو الأثيرْ!..

****

حذارِ الغَوصَ في اليَمِّ المنمّقِ..

كم تولاّكَ الدوارْ؟!

دَعِ الربَّان يمخرُ فيكَ،

أقبيةَ الغُبارْ..

ويقتحمُ اربدادات المدارْ!..

****

يُهاتيكَ القوافلُ..

أوثقي رَكبي..

فقد شمْتُ المقيلَ على الأرائكِ

بين أعطاف الجوى الممطورِ

بالريحانِ والكافورِ،

والنغمِ المذابِ!..

تَمادَيْ فوقَ واحاتِ التجلّي..

انجابَ عني الواجفُ المقرورُ،

أَخْلَدَ لانسكابِ النورِ..

يا طيبَ انسكابِ!!

بَراني الوجْدُ باللاشيء،

من فرط انحباسي

في معاقلِ وحْشتي،

هَيْمانَ.. أَقتاتُ اكتئابي...

- الآنَ، هِمْ يا قلبُ، أنَّى شئتَ..
عَرْشُ الحبِّ أورثَك الجمالَ،
امْضُغْ لهاثَكَ أحرفاً،
مَقْفُوَّةً، بشذا الرُّضابِ!!

نورث مارينا/ طرابلس (٢٦ – ٢٨ أيار ٢٠٠٧)

سوناتا الحزن الأزرق

يتولاّني الحزنُ

عَبيراً مغْبَرَّ القسَماتْ

يبحث عن فَيءٍ ورديٍّ

رقشَتْ لوحتَهُ مُقَلٌ

من ياقوتْ

اجتاحتْ دائرةَ الرؤيا

فانبثقتْ من فُوَّهة الحلمِ

جداولُ طيبْ..

خضِّبْ يا حزنُ فلولَكَ

أوْقِدْ في مسْراها

صَخَبَ الهمسِ المُبْحِرِ

في أرجاء العينين

ازْرَعْني بين ضفافهما

جذْوةَ وجدٍ

لا يبرحُ أوصالَ الجَنَبَيْنْ...

هات اضمُمني بين حناياكَ،

اسلُكْني في أنفاسِ الشفتينْ! ..

ضُوعي يا زنبقةَ الحُسْنِ

ارتشفي السقْمَ الجاثمَ

فوق الجفنينْ

****

حدَّثَني الخفقُ المطويُّ هناكَ..

عن الرغَد المحبوس،

مخافةَ ريحٍ تجتثُّ

بقايا الضوء المندسِّ أصيلاً

في غابة وزّال هاجعْ..

هلاَّ أبصرتِ نزوعي المهتاجَ

إلى مهوى قطراتِ الشهدِ
المسكوب على وقع الأنفاسِ
كما الجوريُّ الوادعْ؟!
****

وا أشجاني من وجَع الروح
يُسَربلني من أقصى الأشواقِ
إلى مجدول الصبوةِ في الأعماق!
وا منفايَ الموحشَ يَقْضمني غَصَصاً
وأُواراً..
إنْ أنتِ تخليتِ
عن العَذْب الدفّاقْ
يَهْمي نُطَفاً
من فَمكِ الرقراقْ
كلُّ قوافي الشعرِ
وضروبِ لآليهِ
انسكبتْ نشوى

بنشيد الفجرِ..

أَرْخي مِن وَهْجِ الهُدْبِ قليلاً

يغمرْني سيلٌ من خَدَرٍ

مرقومٍ فوق مياه النهرِ،

ما ضار لَماكِ البوحُ جهاراً

في مَرَح العمرِ..

ما انفكَّتْ أزرارُ الورد

تفتَّحُ سرّاً،

تفضحُ مكنونَ الصدْرِ...

يا للصحوة تُعْتِقُني

من وعثاء ضُموري

وبجمَّعِ أورامي ودثوري..

فأفيقُ على ضوضاء حضوري

لهباً من مارجِ صبحٍ مبهورِ !!

يا للوردة.. ما أبهاها

يخترق شذاها

أنفاس الديجور!!

****

يتولاني الحزنُ سكوناً

مُطبقْ..

يهْدِلُ في مِنْجَيرة راعٍ

سافر نحو المشرقْ..

فسَجَا ليلٌ

ورنَتْ لي رابيةٌ

أيّانَ مقيلٌ لضبابٍ أزرقْ؟!

ركد ألْيمٌّ ..

فأينَ الزورقْ؟؟!!

****

نورث مارينا/ طرابلس (١٧ – ١٨ حزيران ٢٠٠٧)

حلْم الفراش

ندى...

ومثلُكِ يصحو على ضَجْعة النورِ

ينسابُ همساً إلى المطلقِ ..

يُعانقُ بوحَ الغمام

ويسرقُ وهج المرايا

ازدهاها نشيدُ الغرامْ!.

وأنتِ ابتهالٌ تمرَّغَ في شاطئيه

السكونُ المقيم طويلاً

لدى غابة الزنبقِ!.

******

أُراكِ انسلَلْتِ اختيالاً

إلى شرفة الذّات

تُحبْين فيها اختلاج العبير

المخضّب بالَمشرقِ!..

أُراني غدوتُ احتمالاً

وشيك النفاد،

ظنوناً تُسابق ريح المحالِ..

تَجِّيْ صُبابةَ أعطافِيَهْ

أفيقي على شهقةِ الروحِ

ينشقُّ عنها شَغافِيَهْ

لعلك تُسْقين من ورْدِيَهْ،

وأتْلو ارتوائي نضيراً

بأنساغِ بُردَيك

يغتسلان بكوراً

بصِرْفِ لَماكِ

ودوح الشذا المورِقِ!..

******

ألا انجابيَ الآن

يا تلكمُ العادياتُ..

اللظى الــ ضرَّجَتْني قروحاً

وأضْوَتْ فؤادي نُزوحاً،

تصدَّعَ تنورُهُا

اربدَّت الريحُ من حولها..

فأضحتْ ركاماً يضجُّ

بقاع أتُّونها المعْتَقِ!!

تحوَّلتِ النارُ نفْحَ ابتلال

ورؤيا هلال

بفيض ارتشاف

تجرَّعتُهُ من لدن هُدبكِ الأزرقِ ..

لعلِّيَ مذْ لوَّحتْ مقلتاكِ

أعانق فيك المشاعلْ

وأنشَقُ رجْعَ العنادلْ ..

لعلِّيَ مذ أنتِ

صاب إلى ثغركِ المغْدقِ،

فخلٍّي الثنايا تبوح،

انطوتْ أعصراً

خلف صمتٍ مريبٍ،

وأنتِ ارتقابٌ

لصبحِ افترار

ومَرْج اخضرارْ

عساها هنيهةُ وَجْدٍ

تُفتِّحُ أكمام سرٍّ الهوى المغلَقِ

عساها — نَدايَ — الدنى

تُبيح لنا وَصْلنا

فنغدو كنبْعَيْ هُيامٍ

تَبَلَّجَ في غَفْلةِ الزمنِ المرهَقِ!

******

كلانا تخطّى المحاقَ

ارتقى في الجوى،

رُتْبة الإنحسار،

وصولاً إلى الانعصارْ

فلِمْ لا نحلّقُ فوق المدارْ؟

ونهبطُ أرض الزمرّد والجلّنار؟

هلمِّي!.. فأنتِ على قاب
حُلْم الفراش، من المطلق!!

نورث مارينا – طرابلس
٢٦– ٢٧ آب ٢٠٠٧

جَداولُ الوَلَه القانـي

-١-

حَنانكِ يا تفاريح الشجنْ!

تروَّيْ في تَثنّيكِ،

المدى مخضوضبٌ بالزمهريرْ!

سكنٌ لُمربدِّ المصيرْ !!

-٢-

حنانك يا رُبـَـى الوجع الجميلْ!

تناهيْ في نُعيماء الفتونِ

الوَردُ أثقله انعطافاتُ الهديلْ!

ومن يصحو على رشفات شذْوكِ

واللظى تسري بأوصالي

كما وُرْق الأصيلْ؟

-٣-

ألا ارفُقْ يا محيّاها

بطَرْفي وهو يصْلى بتواشيح صبِاها

براني الوجدُ من ضوضاء أهدابٍ

رخاءُ الطير في وُكناتها،

صفّى تقاسيمَ رؤاها..

-٤-

طواني اليمُّ في وضح انبهاري

بالشذا الممراح ترسله الشفاهُ القانياتْ..

تناثرتُ انخطافاً بالرؤى الزرقاء

وشّاها المطرَّزُ من شآبيب

الثنايا الهامياتْ..

-٥-

تَضوَّع فيَّ أسرارٌ،

بحَجْمِ اليمِّ والشطئانِ

ذرَّتْها غدائرُ من جنَى الريحانْ ..

ألا اهلّي شروقاً ينفح الأزْرارَ

توقيعَ العشايا

وهي تَهْفو للسَّحرْ

وما أدراكِ ما وهجُ العشايا والسَّحرْ؟!

أفاويقٌ من الأطياب

والياقوتْ،

أهازيجٌ مقطَّرة تصبَّاها العُمرْ!.

-٦-

حضورُكِ في مهامهِ وحشتي

رقْشٌ سماويٌّ

تنـــزَّلَ في مزامير الحكيمْ

توازِنُهُ شذاة الأكبد الحرَّى

فأمرَعَ في ضميري

دوحةً للرغْد، ما سَمَرُ النجوم؟

-٧-

صَبَغْتِ الأفقَ من حولي

ذهولاً منْصِتاً

للدافقِ الصخّابِ من رجع القَوامْ،

سطوعاً وارفَ الأعطاف

يعتصرُ الأغاريد المرصَّعة الهُيامْ...

-٨-

وماج الملحُ في الأمواج

مصقولَ الأديمْ

لُحَيظةَ غازلتْ عيناكِ

شَدْوَ الماء رنَّحهُ

المضرَّجِ من رحيق الثغر

سُلسِلَ من نَعيمْ..

-٩-

ذَريني يا (روابي)،

الحسْنُ أورقَ في فؤادي!

مواقدَ للتهجُّد في مفازاتِ البيادي!

ينابيعاً من التحنان

يغسل كل أرْصفة السُّهادِ

فلا رجسٌ ولا زغلٌ

صنوفٌ من وديع الهمس

تنضح بالوداد

-١٠-

على هَدْي المُدام السرمديِّ

ادَّفقي حُللاً من الألطاف

تُبدعني من اللا حسٍّ

واللا أُنسٍ..

خابيةً من الفرح المعَتَّقِ،

كرْمةً للحبِّ تنشرهُ

أزاهيراً لعشَّاق الدروبْ،

جداولَ من لهيب الوصْلِ

يُسْقى من تراتيل المغيبْ

سمتْ بكِ عندلاتُ الخافق المهتاجِ

مرتعشَ الخطى..
ذريني في فيافيها
نُحولاً مقمراً،
وجوىً دفيناً لا يشيبْ!!

طرابلس – النورث مارينا
آخر أيام عام ٢٠٠٧
قبيل منتصف الليل

ترجيعات البعد الآخر

-١-

ما لأيامي اعتراها غبشُ التذكار

والرؤيا البعيدة؟

ودَعتْني لغدٍ أخْرقَ لا يرْعى

اللبانات الوليدةْ!

حيثما أبحرتُ

وافتْني شخوصٌ ضاوياتٌ

من فضاءات بعيدةْ

أينما وجَّهتُ وجهي

انتابني وخْزُ انقباضٍ

وتعلاَّت شديدةْ

غارَ فيَّ المدُّ،

فانسدَّتْ شرايينُ

بأنفاق القصيدةْ

-٢-

أَيُّهذي الخفقاتُ المدْنفاتُ،

ابتردي بألبوح

ما دمتِ على مرمى

انبعاثٍ ونُشورْ!

أَوثقي نجواكِ بالموَّار من صبحٍ

سُلافيٍّ طهورْ!

لا تُداري الغَسَقَ الواقبَ

في زحمةِ أنواءٍ،

وصُونـــي مشتهى نفَسي الأخيرْ!

ابعثي طَوْق وعودٍ

لليالي الصّيفِ

فالعمرُ قصيرْ

نضِّديه

قبل أن يَنبت شوكٌ طحلبيٌّ

فوق هامات المصيرْ!!

-٣-

كلُّ ما فاحتْ به الأنهر

من شدو الأثيرْ

وتمادى الحَورُ من فوقُ،

وماجتْ أقحوانات الغديرْ

يَنْحبُ الآن بصدري

طاوياً حدسي

كما الهدْبُ الكسيرْ

كيفما غرَّدَ طيرٌ

واستفاقت قُبَّرَةْ

ورَنَتْ صفصافةٌ

للجدول الرقراقِ

في وَصْلة غيدٍ مُقْمرَةْ

فأنا ذاوٍ بأعماقيَ أقتاتُ شرودي..

سربلَتْني وحشةٌ قفراءُ

مَسْراها الهجيرْ..

-٤-

هل تخطيتُ مدارات المنى؟
أين أصبحتُ مع الأيام
في هذي الدُّنـــى؟
هل تخطَّتْني المواقيتُ
فأمسيتُ ارتقاباً للخَواءْ
بعد أن كنتُ خديناً للرُّواءْ؟!

-٥-

جاذبيني يا خُصيلاتٍ تناهتْ
من تسابيح الحصى
أنا في غمرة تَهْيامي
انسكابٌ
لشذا المشتار من عذْب اللمى
لَم تنأى بـــي المسافاتُ فأطوى
بين نزْعٍ وضَياعْ؟
ولِمن شعرٌ مُصفّى
أقتفيهِ خالصاً
من رعشات الروحِ
سُلَّتْ من شعاعْ؟..

-٦-

يا غوادي المزنِ ساقيني

نجيعَ الزعتر البرّيِّ والقَصْعينِ

أضحيتُ جَزوعاً من سُبات الدّهر

ينتابُ خيالي واليراعْ!

ازرعيني شِلْحَ عَرعارٍ

على ضِفّةِ وادٍ راغد

يُصغي إلى عزْفِ الرياحْ،

تَجديني بعد حينٍ، سُحباً

من عاطرِ الأنسام تسري في البطاحْ!

-٧-

مَن يُعاطيني غراماً

لم يَدُرْ في خَلَد الجنِّ

وأصحاب الرقيمْ،

دامسَ التِّرياق

لا أَبرأُ من غُلْوائه

كرَّ الثوانـــي المستديمْ؟..

منْ يَدسُّ العشْق

في صحن عشياتي

ابتهالاً لِسماءٍ لا تغيمْ؟!

كيف أغدو، حين أهوي

في سعير الحبِّ

والسُّقيا الحميمْ؟

مارجاً من لهبٍ أنقى

من الكوثرِ في سفْحِ النعيمْ!

أنا منذورٌ لذياكَ النعيمْ،

منذُ أنْ كُوِّرَ نَهْدٌ

والتَظَتْ حَلْمةُ إجّاصٍ

بخوريِّ الشّميم!..

-٨-

ليتها عيني استفاقتْ

ذات تطوافٍ،

على هيئة بركانٍ

من اللؤلؤ والياقوت

يختال على صدر الحبيبةْ!..

ليتها الأقدارُ تغفو سِنَةً،

فأصيخَ السمعَ للمجدول

من وقع تصاويري الغريبةْ!

غُنَّةٌ من خُيَلاء الصمتِ

تاهتْ في الضبابْ

فتهادتْها المجرّاتُ

سُحيراً، عند أعتاب السحابْ..

كم هَمتْ ديــمةُ عمري

إثْرَ ذاكَ الصمتِ

غنّيتُ به تَنحابَ قلبي ووَجيبَهْ؟!

****

خُتِمتْ بي آية الإبحار

في عمق الهَنيهات الكئيبةْ!!

طرابلس – نورث مارينا

٢٠٠٨/١/٤

مَقيل الفـرات

إلى إحدى سوسنات الفرات في ضاحية الرقّة بسوريا. إلى «رنا»....

رَنَوْتِ، فرانَ عزيفٌ تماوجَ فوق الفرات

استفاقَ على وجع الروحِ

مِن فَرْط ما جاش فيها

من الشَّدْوِ، خَضَّبَ كلَّ الجهاتْ

حدائقُ مِن لازَوَرْدٍ

ترامَتْ على مَدَّة الوصْلِ،،

حَدِّقْ إنِ اسطعْتَ في لَهب المُقْلتينْ!

تَمَلَّ بسَوْسَنة النهر

تُفْضي بطيب العشيَّاتِ

يَنْسابُ من دوحة الشفتَيْنْ

سُلافاً كأحلام حَوْر الفراتْ!!

******

هدوءاً طيوفَ الضحى..

وأنتِ تخَطَّيتِ سفْرَ الهُيامِ

انْتَحي ضفَّتَيْنا!

صَخبْنا بجَمر الحنينِ

ارشُفي عن فؤادي

وجيبَ الفيافي..

تلظَّتْ طويلاً بشَوْك الصّدودِ..

انْزحي الصَّابَ عن خافقيَّ

الْتَوَتْ في دجاها، الرؤى الحانياتْ!..

******

رُويداً! رويداً، رفوفَ الرياحِ

اعْبقي كلّما راودَتْكِ التقاسيمُ

سكرى بلَفْح الصِّبا المونِقِ!..

تَوالَيْ كخَفْقِ الهديل،

على صفحة النهرِ،

قَرِّي سُكوناً

ورِقّي فتوناً

بِرَوْضِ الأغاريدِ

تعصفُ بالصدر

ماجتْ به دغدغاتُ الكرى المُطْبقِ!

تَمادَيْ هناك..

ابْتَغي مَوْئلاً مُوثَقَ الخطواتْ!..

******

رَنَتْ غادةُ الغيدِ

في هدأةِ البوحِ،

أَوْرقَ وعدٌ بقاع السنينِ

انْتَشَى ضامِرُ الحبِّ

في حَوْمةِ الشكِّ

يَهْفو لرؤيا هلالٍ طوَتْهُ الظنونْ!..

******

ألا صحوةٌ تَعْتَريني

على هَدْهدات السكونْ؟!

بشائرُ نَجوى

تلفُّ كياني

فأغدو صريعَ الخزامى

ضجيعَ ثواني الجوى الخالداتْ؟!

******

أتدرينَ كم يا «رنا»

ينطوي العطرُ في الزنبقِ؟

وكم يترنَّح شوقُ الغديرِ

لِلَثْم الفراشات في المَشْرِقِ؟

ذاك أنت..

اندلاعٌ لكلِّ العَبير

انشغافٌ بذرَّات ضوءَ الأثير..

الْتَقينا..

فَروَّحَ عَتْمٌ

وضوَّع وَجْدٌ..

هلمِّي نُروِّ ثرى الانعتاقْ

ونَجْلو غبارَ المرايا

علاها وجومُ العشايا

شَجاها الفراقْ!..

صِليني بعقْد الرياحينِ

يَنْهلّ قَطْرٌ

ويُمْرِع وَعْرٌ

ونقطعَ كلَّ المسافاتْ!..

******

أتَدْرينَ يا مشْقَةَ النور

كيف يَشي الضوءُ

بالأرْبُع الغافيَةْ،

ويولَدُ في الصدر

برعُمُ وَهْجٍ

يكدِّرُ عُمراً

ويَنْضى عن الثوب، في وَصْلة عاتيةْ؟!

تُراني.. ذَهِلْتُ

فضجَّتْ بصدري النوازعْ

وأشرفْتُ من فوق هام الحِقَبْ

أغْتلي شَجناً في شَجَنْ

أغتدي كبقايا الدِّمَنْ؟

حَطِّمي جُذُرَ الأزمنَةْ

وارشُفي سقَم الخفقة الموهَنةْ!

لأنتِ الرياحُ التي حملتْ

بذرةَ السوسنةْ

فشبَّتْ هنا... بين أحضان شطِّ الفراتْ!..

لأنتِ المِدادُ الذي خَطَّ أعطافِيَهْ

ترسَّمَ شوق الضلوع

وسرَّحَ أنفاسِيَهْ!..

ذَريني أحطّ رِحاليَ

في مَحْجَريْكِ

ابْدئيني شعاعَ ضياءٍ

يَمورُ بأرجائيهْ

كذاكِ نُشوري..

هل انتابَكِ الآن

صَدْعُ الزمانِ

وصوتُ انبثاق الحياة؟!

٢-٤ تموز ٢٠٠٨

نَعْماء السَّكينةْ

دورةَ الأشجان،

أنّى موعدٌ لي

معَ نَعْماء السكينةْ؟

هي ذي لاحتْ،

وأضحتْ قابَ وعْدٍ

لو تَسَامرتُ قليلاً معَ أوراق الحنينِ

اجتاحني الإعصارُ

وانْجابَتْ سَحاباتُ الدُّوارْ..

أينَ مني قَدَرٌ

يَفْتَرُّ عن تَرْويةٍ مِسْكيَّة الأنوارْ؟!

****

عانقيني يا نُعَيماءُ

على مَدِّ انبهاري

بِقَوامٍ قُدَّ من رَجْعِ اليمامْ

وتَغاوَتْ خُصَلٌ من أَرَجِ الريحانِ،

تَنْسَابُ على الخدّينِ

أطيابَ هُيامْ!

****

مرِّغيني بشَذا الوسنانِ

من عينَيْنِ

ما أبْدَعَ ما يَنْهَلُّ في سَرْحِهما

من بارق الأَنغامْ!!

أَوْثقيني عند ثَغْرٍ

سِكرَ النرجسُ فيه والخُزامْ!.

****

أسْدلي فوقي ذؤاباتٍ

تَفيَّأْنَ وجيبَ الزعفرانْ

وانْطوِي...

إنِّي تخطَّيتُ تَضاريسَ الزمانْ!

****

هل تَساقَيْت شعاعاً

حَطَّ في صفحةِ ماءٍ

فانْجَلى أمواجَ بَوْحٍ وحبورْ؟

هو ذاكَ النهرُ،

والصفصافُ،

والزورقُ

يَجْري مُثْقلاً بالطيب هفهافاً

كأنسام السحورْ!

****

وَشِّحيني بضِرام الهُدْبِ

يَغْشاني هُجوداً

وتراتيلَ ضحًى،

يَنْشرُ الإيناسَ في رَوْعي

فأغْدو قاب قوسَيْنِ

من السِّدْرةِ،

يا لي من بُهُور المنتهى!.

تاهَ فيَّ الشَّغَفُ المخضوبُ بالحمَّى

لِوَصْلٍ، لا أراني فيه

إلاَّ وارداً نَهَرَ الفردوسِ،

عَرِّجْ يا أَخا الصَّفْوِ

إلى ميناءِ علِّيينْ!

****

يا نُعَيْماءُ ... بَراني، من لظى التحنانِ

ما غاضتْ به سُبْلُ الكلامْ...

لا تقولي: حانَ مُمْساكَ،

فقد يَنْمو على الصخر أزاهيرٌ،

ويَخْضَرُّ كثيبٌ، من تواشيحِ الغمامْ!..

هذه أنهار شعري

تَغْتلي في دَعَة الصمتِ،

أفانينَ رُخَامْ!..

سَرِّحي فيها لَمَاكِ!

انْسَكبَ الحبرُ فُراتاً

قَبْلَ أنْ أَنْهلَ،،

ما بالُ الحَصى تَصْدَحُ في القاعِ،

ويغْرَوْرقُ شوكٌ،

بنُضَار الوجنتينْ؟

أَوْدعيهِ من شَذاك البكْرِ،

يهتاجُ الضِّيا المراحُ،

بين الشفتينْ!..

****

أَبْدِئيني يا نُعيماءُ

على هَدْي فُتونكْ!

جَلَّتِ الرؤيا

وضَجَّ العمرُ

من مَحْبوك تكوينكْ..

أَمْسِ.. ماجَ البحرُ

من ريّانِ أردانكْ

خُيلاءً من تَقاسيمِ جُمَانكْ..

رقَّتِ الأمواجُ جَذْلَى

وصفَتْ شمسُ الظهيرَةْ...

يانعاتٍ كنَّ:

أنسامٌ سرَتْ بين مُحيَّاكِ

ومُنْسابِ الغدائرْ،

وظلالٌ مَرْمريَّاتُ الينابيعِ

انْثَنتْ عند انطفاء الجَمْرِ

في صحوةِ أنفاسٍ حَرُورةْ...

****

نَشْوتانِ انْداحتا

فوق أديم الْيَمِّ:

ضَوْعُ الأضْلُعِ العطشى

لرمل العشقِ،

والنهدةُ تَصَّاعَدُ من رمضاءِ ذاتٍ

عانقتْ فيكِ الوجودْ...

****

ليكنْ يا نَعْمُ ما كان،

وما سوف يكونْ!..

إنَّ قلبي اليومَ مَنْسوجٌ

بأهدابِ غرامٍ مَثْنويِّ الطعْمِ

لا يُؤتاهُ إلاَّ من تَلَظَّى

في مراقي الوَجْد،

مَنْذوراً،

لآلاءِ الجوى المكنونْ!!

****

نورث مارينا/ طرابلس

(١ – ٣ أيلول ٢٠٠٨)

مَقيل السنديان

رَجيعُ دُوارٍ

يُخالِسُني بهجةَ الوصْلِ،

دوَّى لَظاهُ

على شرفة السَّاريَةْ،

كمِلْحٍ أُجاجٍ ذَرَتْه المقاديرُ

صُبْحاً

على زورقٍ مُدْنَفٍ

تاهَ عن شاطِيَهْ..

تُرى هل جنحتُ إلى خلوةٍ

ضاجعتْ صَفْوَها

خُلَّبُ الصبواتِ

ابْتعاثاً لأوهاميَهْ؟

******

تُرى كيف أَخلدُ للبوحِ

في هدْأة السَّفْح

داوٍ أماميَهْ؟

يُرتِّلُ لحنَ الهزيع الأخيرِ

لزنبقة الرابيةْ..

رقيتُ إليها..،

تضرَّج فيَّ القوامُ،

ارتميتُ هنالك،

حتى طواني سكوتٌ،

ظننتُ بأني انْسلَلْتُ

خُفوتاً

إلى دَوْحة اللَّيْلك الغافيةْ..

ولّما أفقتُ اعتراني

وجومُ العذارى

سُبينَ عَرايا

وهنَّ ارتقابٌ

ليُعْصَرْنَ أشواقَ خَمْر

تتوقُ إلى رغَد الخابيةْ

******

«رُبايَ» التي لفَّني الأُنسُ

شَجْواً

بأرْبُعها،

اهتاج من طِيْبِ أردانها

الشَّجرُ الغضُّ

و(الخُنْبُلاس) الرطيبُ،

وحفَّت نُسيماتُ عَفْصٍ وديعٍ،

وقد عانقَ السنديانُ الفضاءَ

لعلَّهُ أدركَ وَشْك ارتحالٍ

وضَوْعَ فراقٍ،

فرانتْ ظلالٌ

وفرّت ظنونٌ..

فأين تُرابي انتَهَتْ

بي رؤايَ،

وأحلاميَ الساجيةْ؟؟

******

«رباي» انعصرتُ لهيباً

على وَقْع تحنانيَهْ!..

تدافَعَ وجْدي

كفوّار طَلٍّ هَمَتْ

بشآبيبه نَبْعةٌ

صاغَها الوردُ والأقحوان،

الجمانُ،

المكوَّرُ في بُرْدتيكِ،

انجلى يانعاً في رُضاب ثنَاياكِ

عَذْباً فراتاً

نَهَلْتُ ...

ففاضتْ حُمَيَّائيَهْ..

******

ظمئتُ، كأني (مُلاَقٍ

حِسَابيَهْ)

******

ألا أيُّهذا الحسابُ

ادْنُ أكثرَ

أكثرَ

حتى انْكشافي

ليُبْصِرَ عِرقُ الدوالي

احتدامَ نُحُولي

الوضيءِ،

على شَهْد تَصْخابيَهْ!!

******

ألا اعقِدْ مراسمَ حبي

على من تدلَّتْ ثُريًّا،

لتُوقِدَ في مَرْمد العُمر

جَمْر الفؤاد المُطَفّأ

شيئاً فشيئاً..

وأَدْتُ النضارَ،

فصرتُ انتظاراً

لبعضي،

يلملمُ بعضي،

فأفترُّ

عن رقّة الشوكِ

يَرْنو لدوحةِ شوكٍ

ترنَّح من فرط أشجانيَهْ!..

******

(رُبايَ!) انخطَفْتُ قُبَيْل العناقِ..

فحُلْتُ عزيفَ ضِرامٍ

طَوانِي هديرَ وصالٍ

ونَزْعَ احتضارٍ..

بتَعْناقِيَهْ!..

******

ألا انتحبي في خشوعٍ،

أنا الآن، مُذْ باحتِ الشّفتانِ،

ومرَّغني الآسُ

بين يديكَ،

استويتُ سُباتاً

على فُوهَة الهاويَةْ..

ذريني هناك..

ولا تُشْرعي الفُلْكَ

نحوي!..

أخاف انحساري،

وعَوْدي يباباً

تَسَامَرُ فيه العشايا

بأنقَاضيَهْ!

******

أفيقي على رقدة الهُدْب..

يا لانتشائي بوَهْج المحيّا!..

غدوتُ طليقاً بأفيائيَهْ!

ساوَرتْني من النهر

صفصافةٌ،

هام فيَّ الشروقُ،

بتَرْشافِيَهْ!.

******

أقلِّي، الغَداةَ،

ذُهولي!.

تَناهتْ فُصولي...

فلم يبقَ في بيدري

غير أصدائيَهْ!.

******

لأنتِ رجيعُ دُواري

حَبَتْنيه أعطافُكِ الهاميةْ..

فكنتِ.. وكُنّا ..

نِطافَ حُبورٍ

وألطافَ عِشْقٍ،

فأوْليه دفءَ الحياة،

فما بعدُ، يَرْبدُّ أُفْقٌ

ولا يظْمأ الماءُ

في الساقيةْ!!

******

طرابلس ١٧ – ١٩ تموز ٢٠٠٩

صـــدر للشاعــر :

مسافر للحزن والحنين (٢١٥ ص) المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ١٩٧٧.

١- قصائد للزمن المهاجر (١٨٣ ص) دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٣

٢- دياجير المرايا (٢٠٧ ص)، دار العودة، بيروت، ١٩٩٢.

٣- منتهى الأيام، (١٠٦ ص). مطولة شعرية من أربعة عشر نشيداً، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٥.

٤- آخر الأوراد، (١٢٠ ص)، اتحاد الكتاب اللبنانيين، بيروت، ٢٠٠٥.

الفهـــرس

المراجَعة اللغوية : عبد الوهاب صلاح
الإشراف الفنى : مها عصام

ياسين الأيوبي أديب متعدد المواهب، وافر الحيوية، فهو عالم في مجال الدراسات العربية بمعناها الواسع، وتمتد أجنحة اهتماماته فيها على القديم والحديث معًا، ويستعين على التأمل فيها والنفاذ إلى أسرارها، بحصيلة وافرة من القراءات المنهجية والحرة في الثقافة العربية والفرنسية وما يصب فيهما من ثقافات اللغات الأخرى. وحصادُ مؤلفاته، وترجماته، ومقدماته، وتعليقاته، وتحقيقاته التي تجاوزت الستين، والتي تنوعت، تنوع امرئ القيس، والقرطبي، وابن منظور، وجوته، دليل واضح على اتساع مجال حركته، ورسوخ قدمه في مجال هذه الدراسات.

لكنه، مع هذا التنوع في مجالات الدرس الأدبي، وهو وحده جدير بالإعجاب والحفاوة والتصديق، تنطوي جوانحه على طاقة شعرية فوارة، تزدحم - كما يقول القدماء - هي والعلم في صدره، فلا يزيح أحدهما الآخر، ولكنهما يظلان معًا شاهد حيوية وافرة وامتزاج وتبادل للتأثر، يصدران عن منبع واحد فيلتقيان وبينهما برزخ لا يبغيان، لا تطغى الصرامة هنا على التهويم هناك، ولا الحقيقة في موطنها على المجاز في موضعه، ويتم التوجه إلى عالم الظاهر أو عالم الباطن، إلى المألوف أو المكتشف أو المدهش، كل في مجاله وموضعه وبلغته الملائمة وفي لحظته المناسبة.



